

رسالة ملكية
إلى المشاركين في المناظرة الوطنية الثانية حول الثقافة المغربية

بعث صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني برسالة إلى المشاركين في المناظرة الوطنية الثانية حول الثقافة المغربية، التي عقدت أشغالها بمدينة فاس من 30 نونبر إلى 2 دجنبر 1990 ـ تحت عنوان «أي إنتاجية ثقافية في المغرب».

وقد تمحورت أشغال المناظرة حول العمل الثقافي بالمغرب، وسبل بعث التراث، وكذا ثقافة الطفل المغربي.

وفيما يلي نص الخطاب الملكي الذي تلاه مستشار صاحب الجلالة السيد أحمد بنسودة، خلال الجلسة الافتتاحية لهذه المناظرة :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

حضرات السادة والسيدات

يطيب لنا أن نتوجه بخطابنا إليكم في مستهل أعمال المناظرة الوطنية الثانية حول الثقافة المغربية، عطفا على خطابنا الموجه إلى المناظرة الأولى، وإبرازا لما نوليه للثقافة في اهتماماتنا من رتبة أصيلة وما تقتعده عندنا من مكانة أثيلة.

ذلكم أن المغرب ظل منذ نشأته كدولة حضارية منذ أزيد من إثنى عشر قرنا ، منارة ثقافية ساطعة الضياء ممتدة الإشعاع على بلادنا وخارجها، ومعلمة حضارية ترتد إليها الأنظار والأبصار وتهتدي بنورها البصائر والأفكار.

أليست جامعة القرويين من أقدم جامعات العالم وأعرقها في ترسيخ العلم وتوطيد العرفان. إليها عبر العصور حج الطلاب من كل حدب وصوب، وعلى حلقات دروسها انتظم على توالي الحقب إلى جانب المسلمين سلك رواد المعرفة من مختلف الديانات ، ثم عادوا إلى أوطانهم حاملين إليها آخر ما انتهت إليه الثقافة في مختلف مشارب العرفان من إبداعات.

ولقد كان عهد الظلمات المعروف في تاريخ العالم بالنسبة إلينا عهد الإشراقات والأنوار ، إذ كان المغرب بفضل تنوره الفكري مركز إشعاع وحصنا من حصون الفكر الشامخة.

وكل ذلك يقوم شاهدا على أن هذا البلد العظيم ، كان على امتداد تاريخه بلد انفتاح يأخذ ويعطي ويتفاعل تأثرا وتأثيرا لصنع حضارة الإنسان، متخطيا بانفتاحه الحدود والحواجز، حدود المكان وحواجز الزمان.

وإذا كان الله قدر لبلادنا جغرافيا أن تقوم جسرا رابطاً للقارات ، وأن تصبح بذلك ملتقى ومعبرا للثقافات والحضارات، فإن جغرافيته هذه كانت وراء صنع تاريخه المجيد وموقعه الفريد بين تاريخ الأمم ومواقع الشعوب.

ومن جهتنا فمنذ أن أخذنا بمقاليد المغرب وأمسكنا بزمام قيادته واضطلعنا بمسؤولية تخطيط سياسته ، انطلقنا من هذا المبدأ كبديهية لا نقاش فيها ، فآلينا على أنفسنا أن تظل هذه البلاد وفية

لتاريخهـا، مشدودة الـروابط إلى أصالتهـا، متصلة الجذور بهويتها، وفي الـوقت نفسه متـابعة سيـاسة الإنفتاح التي طبعتها وميزت تاريخها، لنقيم على قاعدة هذه الإزدواجية صرح المغرب القديم الجديد في آن واحد. المغرب الـذي يعكس صورة الأصالة في أجلى حللها، ويتقمص المعـاصرة في أبهى صورها، وتتفاعل في تحليـة صورته البـديعة حسنات الماضي ومنافع الحاضر، ومنهما يـؤمن العبور إلى غد نـريده مشرقا ضـامنا لنـا اقتعاد مكـانة مرمـوقة في مصـاف الأمم الآخذة بمنهج التقـدم الحضاري العصري، الكفيل وحده ببقائنا واستمرارنا امتدادا لمسيرتنا التاريخية عودا على بدء وردا للعجز على الصدر.

وبتحقيق هذا الطموح المشروع الـذي نعتبره في متناول قدراتنا مادام قد تـوفرت له في التحام متين إرادة الملك والشعب، فإننـا سنظل نؤدي تلك الرسـالة بما عليـه نتوفر مـن مؤهلات فكـرية حضـارية جديدة، وهي رسالـة نحرص على أن تكون في خدمة التقارب بين الشعـوب، والتعاون مع الأمم بعامة وبخاصة لصالح تـوطيد التضامن بين الأسر التاريخية الفكرية والـروحية التي ننتمي إليها، أسرة المغرب العربي الكبير، الذي كـان حلم الأجيال السابقة والـذي وضعنا لبناته الأولى على أمـل استكمال بنياته، والأسرة العربيـة التي لانشك في قدرتها على اجتيـاز حاضرها المضطـرب والقفز عليـه إلى موالاة مسيرتها لبنـاء صرح التضـامن والإخاء، والأسرة الإفـريقيـة الـذي يـدق قلب المغرب على وتيرة نبضـات قلبهـا، والأسرة الإسلامية التي تستوعب أقدس ما يجيش به قلبنا من مشـاعر. هذا بالإضافة إلى ما يربطنا من روابط بجـارتنا القارة الأوروبية، التي نوجد على مقـربة أميال منها والتي نأمل أن نحطم ما يفصلنا عنها من حاجز غير حصين، لفائدة تواصل راسخ مكين.

إن ثقافتنا يجب أن تعكس هذه المعطيات، وأن تسهم في شدنا إلى هذه المجموعات وأن تستهدف تكوين المغربي، الذي يحتضن انتماءاتنا الأصيلة والمعاصرة ويتمكن من الإنصهار فيها جميعها في تفاعل يسمح لأطرنا أن تكون قادرة على أداء دورها وطنيـا وعالميا. فإن من يملك أكثر من لغة يملك أكثر من ثقافة، ويستفيد بقدر ما استوعب من ثقافات متنوعة من منافع حضارات تتلاقح وتتكامل وتجعل من ممتلكها الإنسان المشرف على أرحب الآفاق، القادر على الإسهام في التطلعـات الفكرية التي تغمر عالم اليوم الذي أصبح بإحكام شبكة الإتصال بين أجزائه، أشبه بالقرية الصغيرة الواحدة.

أيها السادة

لقد حققت بـلادنا مكتسبـات هامـة في مجال الثقافـة، وعرفت بـلادنا تطـورا مهما على الصعيد الفكري والإبداعي وقامـت سياستنا على اعتبار الثقافة والفن أداة من أدوات التنميـة الشاملة، وجعلنا من نشر المعـرفة بجميع فـروعها من آداب وفنـون وعلوم جزءا لا يتجـزأ ولا يقبل الإنفصال عـن مفهوم التنمية الشمولي، وحرصنا كل الحرص على تحقيق لا مركزية ثقافية، وقمنا في السنوات الأخيرة بإحداث مـؤسسـات وهيـاكل ثقـافيـة تضطلع بمهمات علميـة محددة، لاشك أنها ستعـود بـالنفع العميم على مستقبل الثقـافة وتحقق المزيـد من العطاء للـوطن. من ذلك جامعـة مولاي علي الشريف بـالريصـاني المتخصصـة في دراسات تـاريخ المغرب المعـاصر، وجامعـة الشريف الادريسي بالحسيمـة للدراسـات المتوسطيـة، ومركـز الدراسـات الاندلسيـة بشفشاون ومـركز الـدراسات الغـرناطية في وجدة، ومـركز الدراسات والبحوث العلوية بالراشيدية، والمعهد الوطني للعلوم والآثار، ومركز صيانة وتوظيف التراث المعماري بورزازات، والمعهد العالي للفن المسرحي والتنشيط الثقافي والمتحف الوطني للخزف في آسفي، بالإضافة إلى مؤسسات ومتاحف ومراكز ثقافية وفنية أخرى.



ولقد أعطينا تعليماتنا لوزيرنا في الثقافة للإعتناء عناية خاصة وفائقة بصيانة وبتوثيق تراثنا المكتوب والمحكي والمغنى. وهكذا قمنا بتسجيل موسيقى الآلة الأندلسية المغربية والملحون والغرناطي والموسيقى الأمازيغية، كما قمنا بصيانة عدد كبير من المعالم التاريخية عبر مختلف أقاليم المملكة.

ولا يفوتنا أن نسجل بارتياح ما عرفته حركة النشر ببلادنا من تطور فجر حركة نشيطة في ميدان التأليف، أبان من خلالها المؤلفون والكتاب المغاربة عن قدرات إبداعية بوأت بلدنا مرتبة مشرفة بين الأمم يشهد عليها ما نالوه من استحقاقات وتقدير، مما يسمح لنا بالقول أنه أصبح لدينا من الرصيد الثقافي ما يؤهلنا لنكون مسهمين إسهاما جديا وقويا في صياغة النهضة الحديثة التي يتأهب لها العالم، وقادرين على أن نكون فاعلين ومؤثرين في الثقافات العالمية.

وإذا كنا حريصين على ازدهار الكتاب المغربي وتنميته، فإننا أشد ما نحرص على تشجيع الكتاب والمؤلفين والمثقفين عموما. لذا عرفت بلادنا ميلاد عدة جوائز تقديرية كجائزة الاستحقاق وجائزة المغرب الكبرى للكتاب وجائزة التأليف المشترك. وستعرف المزيد من هذه الجوائز دلالة على ما لنا نحو الثقافة من اهتمام وعناية، وبرهانا على ما نوليه للفكر من تقدير ورعاية.

وما أكثر سعادتنا ونحن نعلم اليوم أن الكتاب المغربي قد تجاوز انتشاره حدود المغرب، ليأخذ مكانة في واجهات المكتبات العربية والإفريقية والأوروبية والأسيوية، كما يسعدنا مساهمات المثقفين المغاربة في ندوات الفكر العالمية وحضورهم المثمر في موائد الحوار العالمي، سعادة لا تقل عن شعور الإرتياح لانفتاح المغرب على مختلف تيارات الفكر الوافدة من الخارج، ذلك لأننا نؤمن بأن الأخذ والعطاء في ميدان الفكر هو المدخل الطبيعي للتواصل بين الأمم والشعوب وهو المعيار الحضاري لتصنيف الدول في دنيا الحضارة والمعاصرة. وكل هذا لا يعفينا من التطلع إلى المزيد من الإنجازات ولا يثنينا عن مواصلة عملنا الدؤوب في ميدان الفكر والثقافة لتحقيق خطوات أخرى تقربنا من الوصول إلى الأهداف والغايات.

ولنا اليقين أنكم وأنتم تجتمعون اليوم للتحاور فيما بينكم في وسائل الإنتاج الثقافي والصناعات الثقافية وتوظيف التراث وثقافة الطفل المغربي، وكل ما يتصل بتنشيط الفكر الثقافي، ستضعون نصب أعينكم الإنسان المغربي الذي هو منطلق كل إصلاح وغايته، وستأخذون أنفسكم بكل وسيلة قادرة على بحث آفاق التطور المنشود حتى يتحقق للمغرب الإكتفاء الذاتي في مجالات الصناعات الثقافية.

حضرات السادة والسيدات

يسعدنا أن نزجي إليكم مع هذا الخطاب أصدق تمنياتنا بنجاح مناظرتكم ودعواتنا لكم بالتوفيق في أعمالكم، ونتطلع إلى ماستنتهون إليه من اقتراحات وآراء تغنون بها تخطيطاتنا لإقامة صرح ثقافتنا المعاصرة، التي نريدها في خدمة الأهداف التي سطرناها في هذا الخطاب «وما يعقلها إلا أولو الألباب، هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وفوق كل ذي علم عليم».

صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

11 جمادى الأولى ـ 30 نونبر 1990